

سلسلة أعمال القلوب (١)

التــرف

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الترف، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦١ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٠-٢٨١٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الرفاهية ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٣٦

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

سلسلة أعمال القلوب (١)

الترف



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الترف داء عُضال، ومرض مهلك، إذا استشرى في أمة ذهب بعزمها وأورثها تباطؤاً وخمولاً وكسلاً ودعة، وعلقها بالحياة الدنيا وحببها إليها، والترف إن التصق بشخص حتى صار يوصف به كان ذلك إيذانا بضعفه، وإعلاماً بوهنه، ودليلاً على تراخي شأنه وعدم ضبطه أمره، وأنه آثر لذائذ الحياة على الجد والاجتهاد.

ومع خطورة هذا المرض وكثرة أضراره كان لا بُدَّ لنا أن نضع أيدينا على هذا الجرح، ونحاول معالجته.

فما حقيقة الترف؟.

وما مساوئه؟.

وكيف نعالج مجتمعاتنا التي استشرى فيها هذا الداء؟.

وفي هذا الكتاب أحببنا أن نجيب على هذه التساؤلات.

وأشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

اللهم سدد خطانا، وأصلح نياتنا وأعمالنا، ووفقنا للخير والهدى.



تعريف الترف

الترف في اللغة:

الترفه: التوسع في النعمة، يقال: أترف فلان فهو مترف. ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون:٣٣]، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]، وقال: ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ [الأنبياء:١٣]، و ﴿أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ [المؤمنون:٦٤]، وهم الموصوفون بقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر:١٥][١].

ويطلق على معنى الترف ألفاظ أخرى منها: التنعم، الترفه، الرفاهية.

الترف في الاصطلاح:

هو مجاوزة حد الاعتدال بنعمة، والإكثار من النعم الجالبة للرفاهية.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ١٤٥).

فالمترفون إذن هم الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش، وحرصوا على الزيادة من الملذات والملهيات، وسعوا إلى بلوغ الغاية في أنواع الترف من المآكل والمشارب والمساكن والمراكب.

ذم الترف في القرآن الكريم

ذم الله تعالى الترف في القران الكريم في عدة مواضع، منها:

أولا: الترف من صفات الظالمين والكافرين:

قال الله عز وجل في وصف الكفار: ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦].

قال ابن جرير رحمه الله: (إن الله تعالى أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله؛ اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله، وتجبروا وصدوا عن سبيله، وذلك أن المترف في كلام العرب هو المنعّم الذي قد غذّي باللذات)[١].

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٢٩).

ثانيا: الترف سبب لعذاب الآخرة:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

قال كعب الأحبار: (والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: شرّابين للقهوات[١]، ترّاكين للصلوات، لعّابين بالكعبات[٢]، رقّادين عن العتمات[٣]، مفرطين في الغدوات، ترّاكين للجُمُعات). ثم تلا هذه الآية:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾[٤].

ثالثا: الترف سبب للهلاك في الدنيا:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا

(١) أي: يشربون الخمر.
(٢) أي: يلعبون بحجر النرد (الزهر) المحرم.
(٣) أي: صلاة العشاء والفجر.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٥٢٦).

بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:١١-١٣].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ هذا تهكم بهم، كأنه قيل لهم: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة)[(١)].

رابعا: الترف سبب لهلاك الغير:

إن أذى المترفين قد يتعدى إلى غيرهم، فيهلكوا أقوامهم بسبب ترفهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

ولعلك تلاحظ في حياة الناس، أن فساد المترفين لا يقتصر عليهم، بل يتعداهم إلى غيرهم دائما، ويجعلون الناس يتطلعون إلى ما في أيديهم، ويحاولون تقليدهم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٥).

خامسا: الترف سبب للقعود عن الأعمال الصالحة:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في المترفين الذين لم يطيقوا الجهاد لشدة الحر، واعتادوا الظلال والأماكن الباردة: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

فثَقُل النفير على المترفين بسبب المشقة والحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة، وحذروا من الحر الذي تقي منه الظلال، وتذهبه البكور والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقدر قدره، وهي النار الحامية.

سادسا: الترف سبب للاعتراض على أقدار الله:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ [الفجر:١٥-١٦].

فهذه هي حال المترف، إذا أنعم الله عليه بالرزق والنعم يقول: إن ربي أكرمني لأنه يحبني، وإذا ابتلاه الله بأنواع المكاره

تراه يعترض ويجزع، ولا يصبر على ما أصابه، كل هذا بسبب الترف، ولو أنه عاش زاهداً بسيطاً لتقبل تلك المصائب ورضي بها، بل وحمد الله عليها.

ولو تأملنا لوجدنا أن الصبر على الفقر أهون من الصبر على الغنى.

ذم الترف في السنة النبوية

ورد النهي عن الترف في عدد من الأحاديث النبوية، تحذيرا منه لئلا يتعلق القلب بالدنيا وينغمس في ملذاته ومتعها الزائلة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»[٢].

وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه: أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد رضي الله عنه وهو بمصر، فقدم عليه

(١) رواه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢).
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

فقال: أما إني لم آتك زائرا، ولكني سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعثا وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه[١]. قال: فما لي لا أرى عليك حذاء؟ قال: كان النبي ﷺ يأمرنا أن نحتفي أحيانا[٢].

فكان يأمرهم بالاحتفاء أحيانا لتخشوشن أرجلهم، وتتعود على المشي في الأماكن المختلفة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتاً**»[٣] أي: اكفهم من القوت بما لا يحوجهم إلى ذل المسألة، ولا يكون فيه زيادة تبعث على الترفه في الدنيا.

---

(١) الارفاه: الاستكثار من الزينة.

(٢) رواه أبو داود (٤١٦٠)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (١٠٥٥).

لا تفرحوا أيها المترفون!

أولاً: النعم امتحان وابتلاء:

بين الله عز وجل أن التوسعة في النعم على العباد في الدنيا إنما هي امتحان وابتلاء، وليست دليلاً على رضى الله على المنعم عليه ولا محبته، خلافاً لما يعتقده كثيرٌ من المترفين؛ فإنهم يظنون أن النعم التي تأتيهم علامة على رضى الله عنهم.

وكيف يرضى الله على المترف الذي عصاه واستعمل نعمته في البطر والتكبر!.

وقد ظن الكفار من قبلهم هذا الظن، فعندما رأوا كثرة الأموال والأولاد قالوا: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٥].

فأخبرهم سبحانه بعدم صواب اعتقادهم، فقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ [المدثر:١١-١٦]، أي: أيحسب أن نزيده في الآخرة من المال والبنين، كلا.

وقد بين سبحانه لهؤلاء المترفين المساكين أن إنعامه عليهم إنما هو من باب الاستدراج، فقال عز وجل: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٨٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال جل شأنه: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم:٤٤-٤٥].

ثانيا: النعم الدنيوية سبب لزوال النعم الأخروية:

أخبر عَزَّ وَجَلَّ أن هناك أناسا تُعَجَّل لهم طيباتهم في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

قال أبو مجلز: (ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم في الدنيا، فيقال لهم: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)[(١)].

أي: إنه سيأتي أقوامٌ يوم الحساب فيسألون عن حسناتٍ كانت لهم لا يرون جزاءَها، فيخبرون أنهم أفنوا تلك الحسنات بتنعمهم بأنواع النعم في الدنيا.

وقد كان الصحابة والتابعون يتقللون من التنعم في هذه الحياة الدنيا؛ ليستبقوا نعمهم للحياة الأخرى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٥).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رآني عمر رضي الله عنه وأنا متعلق لحماً، فقال: يا جابر، ما هذا؟ قلت: لحم اشتريته بدرهم لنسوة عندي قَرِمْن إليه[١]. فقال: أما يشتهي أحدكم شيئاً إلا صنعه، أما يجد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟! أين تذهب هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ ؟! قال: فما انفلت منه حتى كدت أن لا أنفلت[٢].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: (لو شئت كنت أطيبكم طعاماً، وألينكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي)[٣]. يعني للآخرة.

وكان حفص بن أبي العاص رحمه الله يكثر غشيان عمر رضي الله عنه، وكان إذا قرّب طعامه اتقاه. فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك ولطعامنا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أهلي يصنعون لي طعاماً هو ألين من طعامك، فأختار طعامهم على طعامك. قال: ثكلتك أمك، أما تراني لو شئت أمرت بشاة فَتِيَّةٍ سمينة فألقي عنها شعرها، ثم أمرت بدقيق فنخل في خرقة فجعل خبزاً

(١) يعني: اشتهين اللحم.
(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٧/ ٤٤٧).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).

مرققاً، وأمرت بصاع من زبيب فجعل في سمن حتى يكون كدم الغزال. قال حفص: إني أراك تعرف لين الطعام. فقال عمر: ثكلتك أمك، والذي نفسي بيده لولا كراهية أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لأشركتكم في لين طعامكم[١].

وعن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أنها قالت لأبيها: يا أمير المؤمنين، ما عليك لو لبست ألين من ثوبك هذا؟! وأكلت أطيب من طعامك هذا؟!؛ قد فتح الله عليك الأرض، وأوسع عليك الرزق. قال: سأخاصمك إلى نفسك، أما تعلمين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش، وجعل يذكرها شيئاً مما كان يلقى رسول الله ﷺ حتى أبكاها، قال: قد قلت لك إنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً، فإني إن سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما، فإني والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد؛ لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. يعني بصاحبيه النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه[٢].

---

(١) أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٧/ ٤٤٧).
(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٣٤).

ولما قدم عمر رضي الله عنه إلى الشام صُنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟. قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة. فاغرورقت عينا عمر وقال: لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بوناً بعيداً[(١)].

ويقول قتادة: (تعلمون والله أن أقواماً يسترطون[(٢)] حسناتهم، ليستبقِ رجلٌ طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله)[(٣)].

ثالثاً: هذا النعيم مما يسأل عنه العبد يوم القيامة:

أخبر تعالى في كتابه الكريم أن هذا النعيم الذي يعيش فيه العبد في الدنيا سيسأل عنه يوم القيامة، هل أدى شكره أم لا؟ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨].

قال مجاهد في الآية: (عن كل لذة من لذات الدنيا)[(٤)].

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).
(٢) أي: يبتلعون، من سرط الشيء إذا ابتلعه، والمعنى: تنقص حسناتهم.
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).

وقال سعيد بن جبير: (حتى عن شربة عسل)[١].

وقال الحسن البصري: (من النعيم: الغداء، والعشاء)[٢].

وقال أبو قلابة: (من النعيم: أكل العسل والسمن بالخبز النقي)[٣].

وكان الحسن وقتادة يقولان: (ثلاث لا يسأل عنهم ابن آدم يوم القيامة، وما خلاهن فيه المسألة والحساب إلا ماشاء الله: كسوة يواري بها سوءته، وكسرة يشد بها صلبه، وبيت يظله)[٤].

وإليك هذه القصة عن أعظم ثلاثة رجال في الدولة الإسلامية الأولى: الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي**

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).
(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٦).

الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار... فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدية ... فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»[١].

فإن كان أعظم ثلاثة رجال في هذه الأمة سيسألون عن نعيمٍ حصلوه لمرة واحدة بعد جوع شديد؛ فكيف بنا نحن أصحاب الوجبات اليومية الثلاثة؟!.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨).

هل الترف والغنى متلازمان؟

الترف في أغلب أحواله قائم على الغنى ومبني عليه، لكنه ليس بلازمٍ له، فكم من غنيٍ عاش حياة البخلاء وأصاب أهله البؤس والعوَز!.

وكم من فقير حرص على توفير النعم وتحصيل الملذات والشهوات من كل طريق، حتى ركبته الديون لأجل ذلك!.

كما أن الزهد ليس ملازماً للفقر، فكم من غني عاش عيشة الزهاد مع ما حباه الله من النعمة والجاه والمال!.

فليس المقصود أن يتخلى الإنسان عن أمواله وتجاراته وممتلكاته حتى يبتعد عن الترف، بل من الممكن أن يبقى محافظاً على هذا ولا يكون مترفاً، فيتاجر، ويصرف على نفسه وأهله بالمعروف، ويتصدق على الفقراء والمسكين، ويبقي من المال ما يقيم به تجارته وحياته.

وكان النبي ﷺ إذا بلغه أن بعض أصحابه يريد أن يعتدي فيزيد في الزهد أو العبادة على المشروع يغضب لذلك، وبلغه أن بعض أصحابه قال: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أَمَا واللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1].

فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو من دين الأنبياء)[2].

إن حقيقة الزهد أن لا يتعلق القلب بشيء من أمور الحياة، فلا يتعلق بمال، ولا بجاه، ولا بمنصب، ولا بصورة، ولا رئاسة.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٢)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) الزهد والورع والعبادة (٧٣-٧٤).

صور الترف المعاصرة

في حياتنا المعاصرة توجد صور مختلفة للترف منها على سبيل المثال:

١- المبالغة في الاهتمام بالشعر:

وذلك بترجيله، وتمشيطه، وتسريحه، وشراء أنواع الكريمات لإبرازه في أحسن صورة.

وقد جاء الإسلام وسطاً في قضية الاهتمام بالشعر، فأمر بإكرام الشعر لمن كان له شعر، ونهى عن الترجل والتمشط يومياً، ولكن يوماً بعد يوم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ**»(١).

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: نهي رسول الله ﷺ عن التَّرَجُّلِ إلا غِبّاً(٢).

(١) رواه أبو داود (٤١٦٣)، وصححه الألباني.
(٢) رواه أبو داود (٤١٥٩)، وصححه الألباني.

والترجل غباً، أي: يوماً بعد يوم.

يقول ابن القيم رحمه الله عن هذين الحديثين: (الصواب أنه لا تعارض بينهما بحال؛ فإن العبد مأمور بإكرام شعره، ومنهي عن المبالغة والزيادة في الرفاهية والتنعم، فيكرم شعره، ولا يتخذ الرفاهية والتنعم ديدنه، بل يترجل غباً)[(١)].

٢ـ المبالغة في التنظف والتزين:

يمكث الرجل الساعات الطوال في المغتسل للاستحمام، وبعضهم يجعل فيه أنواعاً من المعطرات، والرغوة الصابونية، وغير ذلك من أنواع الترف الحديثة التي لم تكن معروفة من قبل.

نعم، لقد دعا الإسلام إلى التزين والتنظف، بل وأمر به، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١].

ولكن هذا مرتبط بعدم الإسراف والترف. يقول ابن عبد البر: (التزين والتنظف مباح ما لم يكن إسرافاً وتنعماً وتشبهاً بالجبارين)[(٢)].

---

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١١/ ١٤٧).

(٢) التمهيد (٥/ ٥١).

فليس من الترف في شيء أن يغتسل الرجل ويتنظف، وأن يستعمل مزيلات العرق ونحوها ليبقى نظيفاً، ولا يؤذي غيره برائحته، لا في المسجد ولا في غيره.

ولكن الترف أن يبالغ في ذلك، وأن يصرف عليه الأموال الطائلة، ويضيع له الأوقات الكثيرة.

٣ـ المبالغة في شراء أنواع الملابس ذات الماركات العالمية بأسعار الخيالية:

كان الرجل قبل مدة ليس بالبعيدة لا يملك إلا ثوباً واحداً، فإذا أراد أن يغسله وينظفه اضطر أن يبقى في منزله حتى ينتهي أهله من تنظيفه وتنشيفه، وهو لا يستطيع الخروج إلى الناس ما دام الثوب مبللاً.

وأنعم الله على الناس فأصبح الشخص يملك الثوبين، والثلاثة، بل والعشرة، ولا بأس في ذلك كله ما دام في حدود المعروف والعادة.

بعض الناس لا يلبس إلا من شركة معينة بناء على طلبية خاصة به، يطلبها منهم شخصياً؛ ليستطيع أن يتميز بها عن غيره.

فإن لم يكن هذا هو الترف بعينه، فما هو الترف؟!.

نحن مأمورونا أن نلبس ثياباً حسنة تدل على نعمة الله علينا، لكن في حدود الاعتدال والاقتصاد.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(١)].

قال أبو الفرج ابن الجوزي: (كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة، لا المترفعة، ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً، وأما اللباس الذي يزري بصاحبه فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى، ويوجب احتقار اللابس، وكل ذلك مكروه منهي عنه)[(٢)].

فخير الأمور أوسطها.

---

(١) رواه مسلم (٩١).
(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٧).

٤ـ المغالاة في المآكل والمشارب:

أهل الترف تجدهم يغالون في الأكل والشرب، فلا يأكلون من الطعام ولا يشربون من الشراب إلا أغلاه ثمناً، ولا يرضون إلا بأنفس الأشياء وأفخرها.

ولا يكتفون في الوجبة الواحدة بنوع واحد أو نوعين من الطعام، بل لابُدَّ أن تحتوي السفرة الواحدة على أنواع وأشكال من الأطعمة، ولو وضع أمامهم نوع واحد من الطعام لتأففوا وتبرموا.

وقد ذكر القرطبي: (تحريم الأكل الزائد على قدر الكفاية، والذي يبتغي به الترفه)[1].

ومن صور الترف في الطعام والشراب: أن كثيراً من الناس لا يأكلون الطعام إلا إذا كان طازجاً، أما إذا كان قد حفظ في الثلاجة فلا يمكن أن يضعه في فمه، بل يلقيه في القمامة، ويعتبر نفسه أكبر من أن يأكل طعاماً قد بات في الثلاجة، حتى ولو لم يتغير طعمه أو يتبدل شكله، ولكنه الترف والعياذ بالله.

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٦٧).

لا بأس أن يجود الإنسان على نفسه بطعام جيد من آنٍ لآخر، أو أن يشتري أكلة نفيسة سعرها مرتفع بعد كل مدةٍ وأخرى، ولكن أن يكون هذا ديدنه وعادته؛ فهو أمرٌ غير مقبول، وطريقة غير مستساغة، لا يقبلها شرعٌ ولا عقل.

ومن صور الترف المتعلقة بالمآكل والمشارب: استعمال الأواني الفاخرة الغالية الثمن، فترى من الأسر المترفة من لا تأكل إلا في الصحون ذات الماركات الفخمة، والقدور من الشركات الكبرى، ولا يقبلون بالأنواع المعتدلة من الصحون والقدور والكاسات وغيرها.

ومن صور الترف المتعلقة بالمآكل والمشارب: ارتياد المطاعم الفاخرة ذات الأسماء العالمية، والتي لا يفرقها عن غيرها من المطاعم إلا اسمها وشهرتها، وديكوراتها الجميلة.

ومن صور الترف في المطاعم والمشارب: كثرة استعمال المشروبات الغازية، واعتبارها أمراً ضرورياً لا بُدَّ منه، فيشرب الشخص مع كل وجبة أو بعدها مشروبا غازيا.

كيف لا! والناس بحاجة إلى هضم ما أكلوه، بعد أن أتخموا

أنفسهم، وملؤوا بطونهم بأنواعٍ وأشكال من الأطعمة والحلويات، حتى احتاجوا إلى ما يساعدهم على هضم ذلك المأكول.

عن ابن سيرين -رحمه الله- أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما: أجعل لك جَوَارِش؟ قال: وأي شيء الجوارش؟ قال: شيء إذا كظك الطعام فأصبت منه سهل عليك[1]. قال: فقال ابن عمر: ما شبعت من الطعام منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجداً؛ ولكني عهدت قوماً يشبعون مرة ويجوعون مرة[2].

٥ ـ حفلات الزفاف وما يصاحبها:

لقد أصبحت ليلة الزفاف في البلاد الإسلامية -على وجه العموم- مضرباً للمثل في الإسراف والتبذير والترف، كلٌّ يتنافس في تقديم الجديد، ومسابقة الآخرين في هذا المجال.

---

(١) أي: يهضم الطعام إذا ثقل بطنك، أي أنه يؤدي دور المشروبات الغازية اليوم.

(٢) الزهد للإمام أحمد (١٨٩).

وأصبحت قصور الأفراح وقاعاتها ذات أسعار خيالية، وثوب الزفاف وحده حكاية مستقلة، فأسعار ثياب الزفاف خيالية، ولا بُدَّ للعريس أن يصلى بنيرانها، فلا تقبل الفتاة ولا أهلها إلا بأجود الأنواع، وأفخر الأقمشة، وأشهر الماركات العالمية.

إن الترف في حفلات الزواج لا يقتصر ضرره على إضاعة الأموال، وانتشار الحسد والبغضاء بين الناس؛ بل إن ضرره متعدٍ إلى عزوف الشباب عن الزواج، لما يرونه من المصاريف والتكاليف التي لا قِبَل لهم بها، فيعيش الشاب بين نارين، إما نار العزوبية، أو نار الزواج في حياة الدَّين الذي سببه له هذا الزواج.

٦- الجوالات وإكسسواراتها وأرقامها:

من صور الترف التي استولت على قلوب كثير من الناس اقتناء أحدث الجوالات، وتزينها بأفضل الإكسسوارات.

وتقام مزادات علنية لأرقام الجوالات المتميزة، وتباع بأسعار خيالية.

٧- السيارات وزينتها وأرقام لوحاتها:

من صور الترف المنتشرة في مجتمعاتنا اقتناء كثير من المترفين لأحدث أنواع السيارات، وتجديدها سنويا، ودفع مبالغ باهظة للحصول على أرقام لوحات متميزة، فقد أقيم في أحد المدن الخليجية مزاداً للوحات السيارات المتميزة، وتم إنفاق الملايين في هذا المزاد فقط.

٨- المبالغة في بناءِ المنازل، وتأثيثها:

كثير من الأسر تقوم بتغيير أثاث منزلها بشكل دوري ومستمر، فبعض الأسر تغيره كل ستة أشهر، وبعضها كل سنة، وبعضها كل ثلاث سنين أو خمس، حسب القدرة المالية لكل أسرة.

وأما التفنن في زخرفة البيوت وملؤها بأنواع الترف فحدث ولا حرج!.

فتجلب أنواع الزينة والزخرفة من الداخل والخارج، وأناس متخصصون في هذا الشأن تدفع لهم أموال لصناعة الديكورات.

لقد أصبحت دورات المياه في فخامتها كأنها مجالس، تزين بالفسيفساء والرخام والزجاج المعشق وغير المعشق.

٩- المبالغة في استخدام الخدم:

لم يعد الأمر مقتصراً على وجود خادمة تعين ربة المنزل على أمورها، بل أصبحت هناك خادمات متخصصات، فخادمة للتنظيف، وأخرى للطبخ، وثالثة للاعتناء بالأطفال.

وهناك البستاني المسؤول عن العناية بأشجار الحديقة، والحارس، والسائق، وقد يكون لكل فرد من أفراد العائلة سائق.

وفي بعض المنازل يكون عدد الخادمات والعاملين أكثر من عدد أفراد الأسرة.

١٠- المبالغة في الألعاب والترفيه والترويح عن النفس:

ففنادق ومدن ترفيهية يكلف بناؤها البلايين، ثم يقدم الناس للإقامة فيها والاستفادة من برامجها الترفيهية، وآخر صيحات الأطعمة والألعاب، ولك أن تتخيل المبالغ الباهظة التي يدفعها من يرتاد هذه الأماكن.

١١- اقتناء أغراض المشاهير:

بيع منديل أم كلثوم بخمسة ملايين دولار.

وبيع قلم نجيب محفوظ الذي كتب به الإلحاد بستة آلاف دولار.

أما الأميرة ديانا قرروا أن يقطعوا ثوبها إلى قطع كثيرة جداً، كل قطعة (٢ملم)، وتباع كل قطعة بسعر ٢٥ دولار، حتى يصل سعر الثوب إلى ١٠٠ مليون دولار. وهذه التجارة مربحة جداً على هؤلاء المترفين.

فهذه نماذج وصور من الترف التي تقع في مجتمعاتنا المعاصرة، وهي قضية خطيرة جداً، يجب علينا مراعاتها، ومراجعة أنفسنا فيها قبل فوات الأوان.

أسباب الترف

أسباب الترف كثيرة ومنها:

أولاً: طول الأمل ونسيان الموت.

ثانياً: التقليد الأعمى، والتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، فهناك كثير من الناس إمّعات يقلدون غيرهم تقليداً أعمى، ولا يتأملون في أفعالهم هل لها حظ من النظر والعقل أم لا؟!.

وكما يقال: يرغب الإنسان أن يكون ابن بيئته، وهذه البيئة مليئة بالبذخ والترف، فلا بد أن يواكب هذه البيئة، فيسرف في طعامه وشرابه ولباسه وسكنه.

وقد يخرج الأمر من حد التقليد إلى جانب المباهاة والمفاخرة، فكلٌ يريد أن يفوز على صاحبه في هذا الجانب.

ثالثاً: سوء التربية، وضعف التوجيه المناسب للأبناء، خاصة مع ما يرونه حولهم من أنواع الترف والبذخ.

رابعاً: كثرة المال ووفرة النعم؛ فالمال يعمي ويصم، ويدعو إلى الركون والمتعة والراحة، ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، وقد قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦-٧]. ومن أجلى صور الطغيان وأوضحها: البطر بالنعمة، والإنفاق في غير حاجة ترفاً ومباهاةً وحباً للظهور.

خامساً: حب النفس للشهوات، وهذا حُب غريزي، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤]، وهذه المحبة الغريزية بحد ذاتها لا لوم فيها، لكن المحظور أن تقدم هذه الأشياء على حب الله ورسوله: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤]، فملذات

الدنيا كلها بمنزلة الخمر إذا أدمن الإنسان عليها صعب عليه فراقها، والدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفُق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين.

سادساً: كيد الأعداء. فإن أعداءنا عندما عرفوا أن الترف هو سبب هلاك الأمم سارعوا لوضع المخططات التي تغرق الأمة الإسلامية في أنواع الترف والملذات والملهيات، حتى نبقى حريصين على موالاتهم ومحبتهم، خاصة وأن أكثر أنواع الترف والملذات بأيديهم، وقد قال اليهود في بروتوكلاتهم: (سنشجع حب الترف المطلق). وقالوا أيضاً: (سنلهي الناس والجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومُزجيات الفراغ والمجامع العامة...).

آثار الترف على القلب

الفرح بالدنيا والتنعم بها والترف بملذاتها سم قاتل يسري في العروق، ويصيب القلب بآثار شنيعة، ومن تلك الآثار:

١- تعبيد القلب لغير الله:

القلب السليم هو الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الدنيا والتعلق بها، لذلك كان من الناجين يوم القيامة، بعكس هؤلاء المترفين الذين أصبحت قلوبهم تعبد الهوى والملذات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»[1].

والرسول ﷺ قد وصف المترفين بأنهم عبيد الدنانير والدرهم والخمائص؛ لأنهم يحبون لأجلها، ويغضبون لأجلها، ويفعلون كل شيء في سبيلها.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

٢ـ التعلق بالدنيا والإعراض عن الآخرة:

صاحب الترف يكون قلبه متعلقاً بالملذات، حريصاً عليها غاية الحرص، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

قال ابن القيم رحمه الله: (إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها موائد الآخرة)[(١)].

٣ـ انشغال القلب بتحقيق السعادة:

إن هدف الناس من الحرص على الملذات وأنواع الترف هو تحقيق السعادة، والقلب إذا لم يستطع أن يوجد تلك السعادة بقي قلقاً مضطرباً حتى يحصل على ما يريد، والسعادة بهذه الأشياء وهم وسراب لا يتحقق، فلا يزال الإنسان يركض وراءها ولا يستطيع أن يحقق السعادة.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ كَانَتِ**

---

(١) الفوائد (٩٨).

الدُّنْيَا هَمَّـهُ فَرَّقَ الله عَلَيْـهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِـهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ الله لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(١) .

وابن القيم يحدث عن شيخه ابن تيمية الذي كان مضطهداً معذباً مسجوناً، قد أُخذت منه أوراقه وأقلامه ومحبرته، ومنع من الاتصال بالعالم الخارجي، عندما كان مسجوناً في دمشق، يقول عنه: (وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرِّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحها ونسيمها وطيبها ما

(١) رواه ابن ماجة (٤١٠٥)، وصححه الألباني .

استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. وكان بعضهم يقول: (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف)[1].

٤ـ الترف يجر على القلب أدواء أخرى:

كالكبر، والتباهي، والتفاخر، والعجب، وينفي عنه التواضع، ولين الجانب.

٥ـ الترف يدعو لمشاركة الفسّاق فسقهم ومجونهم:

لأنهم هم الذين يزدحمون على مواضع الشهوات، أما أهل الدين والمترفعين عن الدنيا فإنهم لا يتعلقون بها ولا يزدحمون عليها.

قيل لبعضهم: ما الذي زهّدك في الدنيا؟ قال: قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسّة شركائها[2].

٦ـ للترف أضرار سيئة على الجسد:

أجساد أهل الترف لا تتحمل المشاق، وتصاب بالأمراض

(١) الوابل الصيب (٦٧).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٦).

لأدنى الأسباب؛ لأن الله فطر الجسم على تحمل المشاق، فإذا خالف الإنسان الفطرة ركبته هذه الأدواء.

يقول ابن رجب رحمه الله: (وليس المأمور به أن يتقي البرد حتى لا يصيبه منه شيء بالكلية؛ فإن ذلك يضر أيضاً، وقد كان بعض الأمراء يصون نفسه من الحر والبرد بالكلية حتى لا يحس بهما بدنه، فتلف باطنه وتعجل موته)[١].

فالترف يؤثر على الصحة، ويجعل مقاومة الأمراض ضعيفة، ويجعل الإنسان غير قادر على مواجهة شدائد العيش.

٧ـ الترف مضيعة للوقت:

الترف يستهلك الأوقات بحثاً عن الملذات والشهوات، ولو علم أهمية الوقت ما أضاعه في ملذاته الفانية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»[٢].

---

(١) لطائف المعارف (٣٥٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢).

٨ـ الترف يقود إلى التكاسل عن العبادات:

لأن المترف يريد التنعم في ملذات الدنيا؛ فلا يجد وقتاً لقراءة القرآن، ولا لصيام النهار، ولا لقيام الليل، وسائر العبادات.

٩ـ الترف يفسد المجتمع:

بالترف يصبح المجتمع كسولاً، وتقل فيه أنواع الإنتاج المتنوعة، فيقل فيه الإنتاج الزراعي، والصناعي، والتجاري، وغير ذلك؛ لأن الجميع يسعى إلى أنواع الترف والملذات التي تستهلك الأوقات والصحة.

علاج الترف

يكمن علاج الترف في أمور متعددة، منها:

١ـ عدم تعويد النفس على الراحة والدعة والكسل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالهَرَمِ**»[١] فالعجز هو عدم القدرة، والكسل ترك الشيء مع القدرة عليه.

وَلَمْ أَرَ فِي عِيُوبِ النَّـاسِ عَيْبـاً
كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَـامِ[٢]

فيُعَوِدُ الإنسان نفسه على العمل، سواء كان العمل الوظيفي، أو العمل داخل البيت كخدمة أهله ونحو ذلك.

عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣) ومسلم (٢٧٠٦).
(٢) خزانة الأدب (١/ ٢٠٥).

يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله[١]. تعني: خدمة أهله.

فمن المناسب جدا أن تتعود البنت على غسل الصحون وتنظيف البيت، ويتعود الولد على قص الزرع وتهذيب الحديقة، وغسل السيارة، وشراء حاجيات البيت من السوق، وغير ذلك.

٢ـ الزهد في الدنيا والتقلل من متعها:

وهو أهم العلاجات، فيدعو الإنسان لنفسه ولأهله بأن يزهدوا في الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافاً**»[٢].

ولو تأمل أحدنا في حقيقة الدنيا لوجدها حقيرة لا تستحق كل هذا التعب والجري خلفها. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مر بجدي أسك[٣] ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه ثم قال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**». فقالوا: ما

---

(١) رواه البخاري (٦٧٦).
(٢) رواه مسلم (١٠٥٥).
(٣) أي: صغير الأذنين.

نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**». قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(١).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْها شَرْبَةَ مَاءٍ**»(٢).

وهذه الحياة لا تستحق أن يُفرح بنعيمها، ولا أن يُحزن بفوات ملذاتها، لما سئل الإمام أحمد: عمن معه ألف دينار ألا يكون زاهداً؟ قال: (نعم، بشرط أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت)(٣).

عن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافىً فِي جَسَدِهِ، آمِناً فِي سِرْبِهِ، عَنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٧).
(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وصححه الألباني.
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٦٥)، وفيض القدير (٤/ ٧٢).
(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني.

فينبغي على الإنسان أن يأخذ الدنيا بسخاوة نفس، يعطي هذا، ويصل هذا، ويتصدق على هذا، فالمال الذي عنده كأنه للناس.

٣ـ أن ينظر الإنسان إلى من هو دونه في الدنيا، ولا ينظر إلى من هو فوقه:

حتى يعرف نعمة الله عليه، ولا يتطلع إلى الزينة التي فيها أصحاب الترف.

٤ـ تقصير الأمل:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك[١].

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

وعن حفص بن سليمان رحمه الله قال: دخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. -أي: أملك بيتاً آخر أجمع فيه الأثاث والمتاع الجيد، يقصد الآخرة- قال: إنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا. قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه[1].

ودخلوا على بعض الصالحين، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل! فقال: لا أرتحل، ولكن أطرد طرداً[2].

فالمرء منا لا يطلب منه أن يرحل من هذه الحياة، بل يطرد منها طرداً، فيؤخذ في ثانية، وتخرج روحه بدون استئذان ولا إمهال، ولا إعطاء فترة مهلة للمغادرة.

---

(١) شعب الإيمان (٧/ ٣٧٨).
(٢) جامع العلوم والحكم (٣٨٠).

٥ـ النظر في سيرة الصالحين والزهاد:

من نظر في سيرة النبي ﷺ وجد زهداً ليس له نظير، يدعوه إلى الامتثال والاتباع.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزا مرققا حتى مات[(١)].

وعن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد رضي الله عنه فقلت: هل أكل رسول الله ﷺ النقي[(٢)]؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه. قال: قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار، وما بقي ثريناه[(٣)] فأكلناه[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٠).

(٢) هو خبز الدقيق الأبيض النظيف من الغش والنخالة. فتح الباري (٩/ ٥٤٨).

(٣) أي: بللناه بالماء وعجناه، ثم خبزناه وأكلناه.

(٤) رواه البخاري (٥٤١٣).

وعن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء وإزارا غليظا، فقالت: قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم في هذين[١].

وقد ضرب كثيرٌ من الصحابة والتابعين أمثلة رائعة للزهد والتقلل من حياة الترف والملهيات والملذات.

فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان يضرب به المثل في الترف في قريش، فلم يكن من يدانيه في لباسه وطيبه، ثم ترك حياة المترفين والتحق بركب الزاهدين، ولما مات ما وجدوا له كفنا يكفيه، وما وجدوا إلا بردة إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا رجليه بدا رأسه[٢].

وعمر بن عبد العزيز مثال رائع آخر لمن زَهِدَ بعد حياة الترف.

عن حجاج الصواف قال: أمرني عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة أن أشتري له ثياباً، فاشتريت له ثياباً، فكان فيها ثوب بأربعمائة، فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده، فقال: ما أخشنه وأغلظه. ثم أمر بشراء ثوب له وهو خليفة، فاشتروه بأربعة

---

(١) رواه البخاري (٥٨١٨).
(٢) الثقات لابن حبان (١/ ٢٣٤).

عشر درهماً فلمسه بيده، فقال: سبحان الله، ما ألينه وأدقه[١].

وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى إلى أبيه وهو خليفة، يستكسي أباه، فقال: يا أبت اكسني. فقال: اذهب إلى الخيار بن رياح البصري، فإن لي عنده ثياباً، فخذ منها ما بدا ذلك. قال: فذهب إلى الخيار بن رياح فقال: إني استكسيت أبي، فأرسلني إليك، وقال لي: إن لي عند الخيار بن رياح ثياباً. فقال: صدق أمير المؤمنين، فأخرج إليه ثياباً سنبلانية[٢] أو قطرية[٣] -وهي ثياب متواضعة-. فقال: هذا ما لأمير المؤمنين عندي، فخذ منها. فرجع عبد الله بن عمر إلى أبيه عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال: يا أبتاه، استكسيتك فأرسلتني إلى الخيار بن رياح، فأخرج لي ثياباً ليست من ثيابي، ولا من ثياب قومي. قال: فذاك ما لنا عند الرجل. فانصرف عبد الله ابن عمر، حتى إذا كاد أن يخرج ناداه فقال: هل لك أن أسلفك من عطائك[٤] مائة درهم؟ قال: نعم يا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٣٤).
(٢) هي الثياب السابغة الطويلة.
(٣) ثياب حمراء مخططة فيها بعض الخشونة.
(٤) أي: عطاؤه من بيت المال.

أبتاه. فأسلفه مائة درهم، فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأخذت منه[(١)].

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله في غاية الزهد، قال مالك بن دينار رحمه الله: (الناس يقولون مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فتركها)[(٢)].

٦ـ ومن العلاجات المهمة أن يترك الإنسان بعض النعيم الذي يقدر عليه:

عن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضُعاً لله عز وجل دَعَاهُ الله عز وجل يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ حُلَلِ الإِيْمَانِ يَلْبِسُ أَيُّهَا شَاءَ**»[(٣)].

وعن أبي عثمان قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: إياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير[(٤)].

---

(١) تاريخ دمشق (١٧/ ٦٦-٦٧).
(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١١٩).
(٣) رواه الترمذي(٢٤٨١)، وصححه الحاكم.
(٤) رواه مسلم (٢٠٦٩).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (ذروا التنعم وزي العجم)[١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»[٢].

٧- ومن وسائل محاربة الترف: مشاركة الفقراء في طعامهم وشرابهم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها. فقال صلى الله عليه وسلم: «**اسْقِنِي**». قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه!. قال: «**اسْقِنِي**». فشرب منه[٣].

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (١٠٣٦).

(٣) رواه البخاري (١٦٣٦).

فالعباس أراد أن يأتي النبي ﷺ بماءٍ لم يضع أحدٌ يده فيه، ولكنه ﷺ أبى إلا مشاركة الناس في شرابهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**»(١).

أي: لو أهدي إليه شيء عليه لحم قليل جداً، أو ما عليه لحم أصلاً لقبله.

فهذه بعض السبل لمحاربة الترف الموجود الآن بكثرة في حياتنا، ولابُدَّ من مراعاة ذلك -خاصَّة- مع أطفالنا، فهم جيل المستقبل، ولو بقوا على حالتهم هذه من الترف والدعة فإن أمامنا مستقبلا مظلما؛ إلا أن يرحمنا الله.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٦٨).

الخاتمة

إن هذه الحياة التي يعيشها هؤلاء المترفون ليست إلا زهرة الحياة الدنيا، وهو نعيم زائل، ونعمة حائلة، أراد الله أن يختبر بها عباده، وقليلٌ من عباده الشكور، قال نفطويه:

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ ثَوْبَ مَصَحَّةٍ
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ قُوتٍ يَحْلَى وَيَعْذِبُ
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمُتْرَفِينَ فَإِنَّهُ
عَلَى حَسْبِ مَا يُعْطِيهِمُ الدَّهْرُ يَسْلِبُ[1]

واحذروا متالف السرف، وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما.

والترف وإن كان مذموماً من جميع الناس؛ إلا أنه في حق طلبة العلم والدعاة أكثر ذماً، وهذا المرض قد انتشر بين الناس عامتهم وخاصتهم، وقلَّ أن يسلم منه أحد.

---

(١) فيض القدير (٦/ ٦٨).

وخير الأمور هو التوسط، وعدم الإفراط في ملازمة الطيبات؛ فإنه يؤدي إلى الترفّه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات، فإن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً فلا يستطيع الصبر عنه فيقع في المحظور.

كما أن من منع نفسه من جميع الطيبات قد يفضي به إلى التنطع، وهو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة المنهي عنه.

نسأل الله عز وجل أن يصلح نياتنا وذرياتنا، وأن يجعل عيشنا كفافاً وأمرنا سداداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة ، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة :

١- عرف الترف لغة واصطلاحا.

٢- اذكر ثلاثة من صور الترف المعاصرة.

٣- ما هي أسباب شيوع ظاهرة الترف؟.

٤- اذكر ثلاثة من آثار الترف على الفرد والمجتمع.

٥- لكل داء دواء فما دواء الترف؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- لماذا ذُمَّ الترف في القرآن الكريم؟.

٢- هل الترف والغنى متلازمان؟وضح ذلك.

٣- كيف يكون الترف سبيلاً لتعبيد القلب لغير الله؟.

٤- (وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه) من القائل؟ ومن المقصود؟ وما مناسبته؟.

٥- الترف مفسد للمجتمع، وضح ذلك.

٦- هل يجتمع الزهد في الدنيا وحب جمع المال؟.

المحتويات